* محـــمد عفيفـــــى *

«فارس من فرسان الأدب الساخر»

* كانت السخرية محور حياة محمد عفيفى، ينبض بها قلبه ، ويفكر بها عقله ، وتتحرك فيها إرادته .. فهى ليست بالثوب الذى يرتديه عندما يمسك بالقلم ،و ينزعه إذا خاض الحياة .. ولكنها جلده ولحمه ودمه وأسلوبه عند الجد والهزل ، ولدى السرور والحزن ..

نجيب محفوظ

obeikandl.com

obeikandl.com

* محمد حسين عبد الوهاب العفيفي .. (محمد عفيفي) ..

* ولد يوم السبت (**٢٨ من جمادى الآخرة عام ١٣٤٠ هـ ـ الموافق ٢٥ من فبراير سنة ١٩٢٢ م**) بقرية « الزوامل » ـ القريبة من «إنشاص» مركز بلبيس ـ محافظة «الشرقية» ..

* أتم تعليمه الابتدائي سنة (**١٩٣٣**) بالقاهرة ..

* حصل علي الشهادة الثانوية في مدرسة « التوفيقية بشبرا » بالقاهرة سنة (**١٩٣٨**) ..

* التحق بالحقوق وحصل على الليسانس سنة (**١٩٤٢**) ..

* حصل على « دبلوم الصحافة » سنة (**١٩٤٤**) ..

* أصدر مجلة « القصة » من سنة (**١٩٤٤**) حتى سنة (**١٩٤٦**) ..

* بدأ رحلته الصحفية مع « محمد التابعى » بمجلة « آخر ساعة» فى منتصف الأربعينيات ..

* عمل لمدة سنة واحدة فى مجلة « اضحك » التى تصدر عن « دار مسامرات الجيب » وذلك سنة (**١٩٤٥**) ..

* تزوج يوم عيد ميلاده سنة (**١٩٥٠**) ، وأنجب ثلاثة أولاد : عادل سنة (**١٩٥١**) ، ونبيل سنة (**١٩٥٧**) ، وعلاء سنة (**١٩٦٠**) ..

* انتقل من « آخر ساعة» إلى « أخبار اليوم » وحرر باباً بعنوان «هذا وذاك» ابتداء من أول يونية سنة (**١٩٥٠**) حتى ٣١ من مارس سنة (**١٩٦٤**) ..

* فى آخر ساعة حرر باب « ابتسم من فضلك » سنة (**١٩٥٤**) ..

* كتب يوميات آخر ساعة سنة (**١٩٥٩**) ..

* حرر باب «هذا و ذاك» سنة (١٩٦٢) ..

* فى أول أبريل عام (١٩٦٤) .. انتقل إلي «دار الهلال» و ظل بها عشر سنوات كان يحرر خلالها الباب الساخر تحت عنوان : «بينى و بينك» بمجلة «الكواكب» ، وكان يوقعه باسم : «واحد» حتى ٣١ من مايو سنة (١٩٧٤) ..

* فى سنة (١٩٦٥) حرر باب «خواطر طائرة» بمجلة الكواكب ..

فى أول يونية سنة (١٩٧٤) : عاد إلي «أخبار اليوم » ، و انضم إلي أسرة تحرير ملحق آخر الأسبوع ، و حرر باباً بعنوان : «للكبار فقط » ، سجل فيه عدة مواقف ساخرة ناقدة بأسلوب خفيف الظل ..

* منحته الدولة شهادة تقدير فى مجال فن الإبداع فى ٨ من أكتوبر سنة (١٩٧٨) ..

* توفى يوم السبت (**٧ من صفر عام ١٤٠٢هـ ـ الموافق ٥ من ديسمبر سنة ١٩٨١م**) ..

* **مؤلفاته :**

١ - مجموعة قصص قصيرة بعنوان : «أنوار» أصدرها سنة (١٩٤٦)..

٢ - «التفاحة والجمجمة» ..(١٩٦٦) فى دار الشروق ..

٣ - «تائه في لندن» فبراير عام (١٩٧٢) ـ الطبعة الأولي دار الشروق ..

٤ - «حكاية بنت اسمها مرمر» .. عام (١٩٦٧) .. دار الهلال ..

٥ - «سكة سفر» دار الكاتب العربي سنة (١٩٦٧) ..

٦ - «فنطازيا تاريخية» .. وزارة الثقافة سنة (١٩٦٧) ..

٧ - «فانتازيا فرعونية» سلسلة كتاب الهلال ـ سبتمبر سنة (١٩٧٣)..

٨ - «ضحكات صارخة» سبتمبر (١٩٨٠) ـ كتاب اليوم ..

٩ - «ضحكات عابسة»

١٠- «ترانيم في ظل تمارا» سنة (١٩٨٤) ..

١١- «ابتسم للدنيا» سبتمبر سنة (١٩٧٧) ـ سلسلة كتاب اليوم ..

١٢- «ابتسم من فضلك» أكتوبر سنة (١٩٧١) ـ كتاب اليوم ..

١٣- «للكبار فقط» كتاب اليوم ـ سبتمبر سنة (١٩٧٥) ..

obeikandl.com

* من آثاره :

(أنا * ..)

*** لم استمتع بأى رحلة من الرحلات التي قمت بها ؛ لأننى كنت على الدوام.. أصحب معى .. نفسى ..**

* * *

* مع أنه لا يعرف بالمرة أنها لعيد ميلادى أنا ، باعنى الوغد تورتة محشوة باللفت المسكر .

* * *

* يبدو أننى سأعيش وأموت فقيراً ، فمن الصعب على رجل فى الخمسين أن يشرع فى تعلم أصول السرقة ..

* * *

* إذا نظرت إلى القمر وتنهدت فأنت عاشق . وإذا نظرت إليه وتصعبت فأنت فيلسوف ، وإذا نظرت إليه وتثاءبت فأنت أنا .

* * *

* طبعاً سوف أصوم رمضان القادم ، هذا ما أفعله دائماً .

* * *

(*) للكبار فقط .

opeikanal.com

* لن أكذب فى تعريفى للحب الصادق ، إنه ذلك الشعور الذى يساورنى طوال الدقائق التى أقف فيها أمام المرآة لأحلق ذقنى .

* * *

* فى علاقتى بالآخرين أحب على الدوام أن يظلوا آخرين .

* * *

* دائماً أندم على لحظات ضعفى ، وربما ندمت أكثر على لحظات قوتى .

* * *

* أعتقد أننى مغامر ، ولكن ليس إلى الدرجة التى تجعلنى أروى مغامراتى.

* * *

* نحن قوم نؤمن بأن الحقيقة والمرأة صِنْوان ؛ ومن ثَمَّ كان تفضيلنا على الدوام للحقيقة العارية .

* * *

* فى علاقتى بمختلف الإناث لاأذكر أننى أسعدت أياً منهن بالرغم منها.

* * *

* فى معظم المرات التى خالفت فيها التقاليد .. كنت أعرف جيداً أن التقاليد هى التى تخالفنى .

* إذا كان التصوف نسبة إلى لبس الصوف ، فأنا أفضل التحرر نسبة إلى لبس الحرير .

* * *

* لا أريد أن أموت قبل أن أكمل رسالتى ، أو على الأقل قبل أن أعرف ما هى .

* * *

* أستطيع أن أجزم بأننى لن أموت فى سن الخمسين ؛ لأنى الآن فى الحادية والخمسين .

* * *

* لا أظن أننى سأعيش إلى الثمانين ، فلست متشائماً إلى هذه الدرجة ..

* * *

* إذا مُتُّ فأكون شاكراً لو نشرتم فى النعى كافة محاسنى ، لن يكلفكم ذلك أكثر من ثمن سطرين .

* * *

* هذا وعد منى بألا أسد الشارع بسرادق لمأتمى ، أو أُركِّب مكبر صوت يزعجك طول الليل . الموت فى اعتقادى من الأشياء التى يجب أن يستحى المرء من إعلانها .

* * *

* إذا أنا مُتُّ فلا تتجشم مشقة زيارتى فى القرافة ، فلست أنوي أن أمكث هناك طويلاً .

* لست أشك فى أننى سوف أدخل الجنة يوماً ما ، وإن كنت أعلم أننى سأصل إليها دافئاً بعض الشىء ..

* * *

* بينما هم ينزلون جثمانى إلى القبر ، يؤسفنى أننى لن أكون فى الحال التى تسمح لى بأن أقول النكتة المناسبة للموقف ..

* * *

*** بعد أن تمرنت عليه ثمانى ساعات يومياً طوال خمسين سنة ، كيف تتوقع منى أن أخشى الموت ..**

* * *

* رحم الله حصاناً كل حياته كبوات ، رحمنى الله .

* * *

* وأرجوكم ألا تسرفوا فى الضجيج عند موتى ، وزغرودة واحدة تكفى..

* * *

(الأناقة .. و نحن (*))

*** «مهما كان من أمر ، فالمرأة ما تزال اختراعاً جديداً ينقصه الصقل » ..**

* * *

عندما كنا ـ نحن كاتب هذه السطور ـ في عشريننا ،كنا ننتهى من ارتداء بدلة الخروج ، فنقف أمام المرآة لننظر إلي النتيجة ، لنرى إن كان هناك عوج فى الجاكتة ، أو انحراف في الكرافتة ، أو رعونة فى البنطلون .. توطئة لتقويم ما نجد من نقص أو اعوجاج..

وكنا ـ حيث نقف مفتونين أمام المرآة ـ نمد يداً ، فنضعها فى جيب البنطلون ؛ لنرى أثر هذه الحركة علي الجاكتة ، ثم نمد يداً أخرى ، و نضعها فى جيب الجاكتة لنرصد أثرها على البنطلون ، واقفين أمام المرآة بوجهنا ، و مرة بجنبنا ، ومرة بظهرنا ، و في يدنا مرآة إضافية صغيرة نستعين بها علي أخذ فكرة واضحة فى المرآتين عن مشهدنا الخلفى ..

كل ذلك ليس تضييعاً للوقت ، و إنما سعي وراء التأكد من أننا نستمتع بتلك الخاصية الكسائية التي يسمونها بالوجاهة ، مدفوعين بإحساس راسخ بأننا قد نخرج بغير استكمال الخاصية المذكورة فتحدث لنا في الطريق مصائب كثيرة، بل ربما حدثت المصائب للطريق نفسه ..

و مع ذلك ـ بيننا و بينك ـ نصارحك القول بأننا لم نفترق عن المرآة المذكورة قط ، و قد خلت أنفسنا كل الخلو من شك أليم في تحقيقنا لصفة

(*) ابتسم للدنيا

obeikandl.com

الوجاهة ، ذلك الشك الذي نعامله كالميكروبات السامة و نستخدم كل ما أوتينا من الكرويات الحمراء و البيضاء في قتله فوراً وحالاً وعاجلاً ، ناظرين إلي المرآة التي سولت لنا مثل هذا الشك فى رثاء شديد لها ، قائلين لأنفسنا إنه مهما كان من أمر فالمرآة لا تزال اختراعاً جديداً ينقصه الصقل ..

ثم مرت الأيام ـ وما أسرع ما تمر ـ وكان كل يوم منها يعطي حقنة مقوية للشك سالف الذكر ، حتي وقفنا ذات صباح أمام المرآة فإذا بصوت في أعماق نفوسنا يقول لنا في صراحة لم نعهدها في أي صوت آخر .. :

ـ **يا أستاذ .. حضرتك مبهدل ..**

ذلك الإخطار الذي ظنناه موجها لغيرنا فقلنا متسائلين :

ـ **إحنا ؟ ..**

ـ **أيوه أنتم .. بهدلة تامة ومافيش أي أمل في الوجاهة ..**

فاجتاحتنا مدي دقائق دوامة عنيفة من اليأس الأصفر في بحر من المرارة السوداء إلي جانب عدد من العواطف الأخري ذات الألوان المختلفة .. إلي أن غلب علينا الفهم و الإدراك بعد حين ، فما لبثنا أن قلنا للصوت الذي كلمنا في استسلام :

ـ **إنت عاوز الحق يا صوت ؟ .. كل كلامك في محله ..**

وللفور ـ بدون أدني تردد أو أسف ـ قررنا التخلي عن كل محاولة في سبيل تحقيق الوجاهة من يومها إلي الأبد .. فما الفائدة؟

إن ثيابنا ـ لسبب ما ـ تختلف عن ثياب سائر الناس ، و خُذْ الكرافتة مثلاً .. إن كل الناس يربطون الكرافتة حول عنقهم فتظل مربوطة هناك في النقطة التي حددوها لها تحت تفاحة آدم مباشرة ، متدلية في منتصف فتحة الجاكتة في خط

عمودى مستقيم ، منتهية إلى النقطة التي تهدف إليها كل كرافتة عاقلة ، ألا وهى توكة الحزام ، وهذا بالطبع إذا كان اسمها توكة ..

و ليس ذلك حال كرافتتنا ، إذ لا نذكر أننا عقدنا عقدتها يوماً تحت تفاحة آدمنا ، إلا و فوجئنا بها بعد لحظات تحت أذنينا غير بعيدة من قفانا ، كأن عنقنا مدهون بالفازلين ، أو كأننا ركبناها ـ قاتلها الله ـ علي مجموعة من رمان بلى ، فإذا ما تابعناها مع تقلص في طرطوفتها و التواء إلي أعلي و رفض تام للاستقامة، تدليها وجدناها تدور حول صدرنا متجهة إلى ظهرنا لغرض لا نعرفه ، كأننا لم نلبس كرافتة ، و إنما لبسنا لعب الأطفال التى يسمونها بعفريت النسوان..

و الجاكتة في معاملتها لنا لا تقل في تمردها عن الكرافتة ؛ إذ نلبسها ونقف أمام المرآة فلا ندري لماذا يخيل إلينا أننا ننظر إليها معلقة علي شماعة .. ففي أحد جانبيها انشمار غريب إلي أعلي ، و في الجانب الآخر تهدل يكاد يصل إلي مستوي الركبة ، كأنها مصابة بعقدة النقص و تريد أن تثبت للناس أنها ليست جاكتة و إنما بالطو ..

و سيبك انت من الجاكتة ، و اهبط معنا قليلاً إلى البنطلون ، لكي نقدم لك فيه كائناً لا نذكر أننا لاقينا له شبيهاً بين الكائنات في شدة التأثر بقوة الجاذبية الأرضية . إذ نربطه بالحزام و نسير بضع خطوات فنحس به ينزلق على خصرنا ويتدلى مع كل خطوة ، و نشمره فيتدلى من جديد ، و كل مرة نشمره فيها يجذب القميص معه إلي أعلى ، فنعيد دفع المذكور إلي موضعه ، و هكذا دواليك ..

الأمر الذى ربما يدفعك إلى التساؤل : لماذا لا نشترى لنا حمالة بدلاً من الحزام ؟ و هو ما نفعله باستمرار طوال السنتين الماضيتين ؟ . حمالة جديدة نشتريها كل شهر بسبب ما يكون قد أصاب القديمة من التهتك لشدة مقاومتها للجاذبية الأرضية ..

و الشراب أيضاً .. يزعجنا بسبب ميله الغريب إلى الانسياب من ساقنا والتسلل إلى قلب الحذاء ، متحولاً هناك تحت أصابعنا من شراب ، إلى كرة شراب ، و هذا إلى جانب قدرة غريبة فى حذائنا على جمع أتربة تجعل تلميعه جهداً ضائعاً ، مع ولع مرضى في بوزه بالالتواء على نفسه ، و التطلع إلى أعلى كأنه يريد أن يرى من الذى يلبسه ..

هذا عدد من قطع الملابس عرضناه عليك ؛ لكيلا تلومنا على ما تخلينا عنه من محاولة تحقيق الوجاهة في ملبسنا ، و هناك بالطبع قطع أخرى نلقى منها مثل ذلك و أكثر ، و لكن الحديث عنها كما ترى يحتاج إلى أن نعطيك موعداً خاصاً ، و هو حديث نعفيك منه لما نظن أنه سيسبب لك (اللهم إلا إذا كنت سيدة) من حرج كبير ..

* * *

*** بسبب الزحام :**

على الرصيف المزدحم بآلاف المارة و المتسكعين سارت سيدتان ، وما لبثت واحدة منهما أن تأففت فى استنكار و قالت :

ـ يا ساتر .. الزحمة دى كلها بتيجى منين ؟

و بسطت ذراعيها أمام جسمها ، لتحمى من الزحام بطنها المنتفخ!! ..

(حالة قططية (*))

*** «أنا لا أجلس لكى أستريح من الوقوف ، و إنما لأنه ـ قطى الأصفر ـ لا يستطيع أن يجلس على حِجْرِي و أنا واقف » ..**

* * *

بعض الناس يقولون إنه مشمشى اللون ـ قطى الكبير الجميل الأصفر ـ ولكننى أفضل القول بأنه أصفر اللون ؛ لأننا لو كنا سنراعى الدقة التامة فى وصف ألوان القطط لقُلنا : إن هذا القط أخضر ، و هذا زيتى ، و هذا فزدقى ، وذلك برتقالى ، و ذلك مشمشى ، وذلك بيج ، إلي آخر الظلال الخفيفة الفاصلة بين مختلف الألوان المتشابهة ، و ليس هذا على أى حال هو المهم ..

المهم أنه ـ بصرف النظر عن لونه ـ يحبنى إلى درجة جنونية لا أستغربها بالنظر إلى كمية الطعام الذى أقدمه له ، تلك العاطفة التى تطغى عليه فى بعض الأحيان حتى يكاد ينطق ، كما يحدث فى كل يوم في الصباح الباكر حين يرانى خارجاً من حجرة النوم بعد فراق دام سبع ساعات كاملة ، إذ ينهض من رقدته وراء الباب و هو يتمطع و يقول لى :

ـ ناو ..

كلمة صغيرة إلا أنها حافلة بمعانى الحب و الاحترام ، أفهم منها أنه يريد أن يقول :

ـ صباح الخير يا بيه ..

(*) ابتسم للدنيا ..

و لذلك أجيبه من فورى ـ باسماً أيضاً :

ـ **صباح الخير يا سمسم** (اسمه كده) .

و عند ذلك يقترب منى ليتسمح فى ساقى قائلاً :

ـ **نيـاو ..**

ثم :

ـ **نـواو ..**

ثم :

ـ **وواو ..**

ثم :

ـ **هـواو ..**

كلمات مختلفة الحروف كما ترى لكى تجارى اختلاف معانيها ، الأمر الذي أفهم منه أنه يريد أن يكلمنى راجياً لى أن أكون قد نمت نوماً طيباً ، وسائلاً إياى بماذا سأفطر هذا الصباح ؟ و متى؟ و ما إلى ذلك من الدردشة القططية البريئة التى أجيبه عنها إجابات مناسبة ، بصوت منخفض طبعاً ؛ لكيلا يسمعه من حولى من الناس الذين لا يفهمون لغة القطط ..

إلى هنا .. و أنا راضٍ عنه ، مبسوط منه ، مطمئن عليه ، تلك المشاعر التى تفارقنى عندما يبدأ هو فى التعبير عن عاطفته نحوى بطريقته الثانية التى لا أستطيع إقناع نفسى بأنها طريقة طبيعية ، و أعنى أنها رغبته الملحة المجنونة فى أن يجلس علي حجرى ..

نعم ـ ستقول لى ـ إن كل القطط تحب أن تجلس على الحجر ..و لكننى أقول لك لأ ، موش للدرجة دى .. فهذا القط لا يريد أن يجلس علي حجرى ،

بل إنه يريد أن يقيم على حجرى إقامة مستمرة دائمة ، الأرض بالنسبة له هى حجرة المائدة التى لا يقصد إليها إلا إذا أراد أن يأكل ، فإذا انتهى من الأكل ومن لعق يديه عاد إلى حجرة الجلوس التى هى حجرى ..

عندما خلقنى الله ـ هكذا يعتقد ـ لم تكن له من خلقى إلا غاية واحدة مفردة ، و هى أن يجعل له من حجرى مستقراً و مقاماً . فأنا بالنسبة له لا أجلس لكى أستريح من الوقوف ، و إنما لأنه هو ـ القط الأصفر ـ لا يمكنه الجلوس علي حجرى و أنا واقف ..

و لذلك ما أكاد أستقر على مقعد ـ بمجرد ملامستى لذلك المقعد ـ حتى أنظر إلى حجرى ، فأجد أن المذكور قد استقر هناك ، الأمر الذى أفهم منه سر مُوائه خلال الدقائق الماضية .

إنه كان يحتج على حالة كونى واقفاً ، تلك الحالة التى أبسط ما يقال فيها إنها مخالفة لغاية الله من خلقى ..

و ليس مُهماً بالنسبة له ـ ما دمت جالساً ـ نوع العمل الذى أقوم به ؛ ولذلك يحدث كثيراً أن أكون عاكفاً علي قراءة الجرنال ، فأفاجأ بقط كبير أصفر يتمشى بين المانشيتات ، متململاً فى استياء من فساد ذوقى الذى جعلنى أفرش له سريره بملاءة من ورق الصحف ..

و الواقع ـ إذا شئت الصراحة ـ أننى أنا المسئول عن هذه الحالة المرضية التى وصل القط عليها ؛ إذ شجعته علي هذه العادة عندما كان غضاً غريراً ، فلما كبر و شاخ لم ينجح في التخلص منها ، كالطفل الذي يكبر و يتعلم المشى والكلام و الخناق و في فمه (تيتينا) ..

أو كالزوجة التى يعلمها زوجها شُرْب السجائر ، ثم يجلس نادماً متحسراً وهو يرى فلوسه تطير من فمها فى شكل دخان السجائر.

و لكن لكل شيء حداً ، والرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل؛ تلك الحكمة التي جعلتنى أغير سياستى معها فى العهد الأخير ، إذ يقفز إلى حجرى فى الساعة التى لا أريده فيها فأمسكه و ألقيه على الأرض ، فيصعد ثالثاً فألقيه ثالثاً ، و رابعاً فرابعاً وخامساً فخامساً ، حتى يخيل إلىَّ أن الذى في يدى (بوبو) لا قط أصفر ، و هكذا .. حتى يغلب فى آخر الأمر ، فيقف بالقرب منىّ وهو يَزْغُرْ لى و يعوى عواء منكراً كأنه يقول :

ـ إيه هو ده ؟ أنا عاوز أقعد علي حجرك ، آه باقول عاوز أقعد علي حجرك ، ترميني يعني إيه من حجرك ؟ أنا عاوز أقعد علي حجرك.. آه .. أنا عاوز أقعد علي حجرك ..

و لما كنت لا أحب هذا النوع من اللماضة فإننى أشخط فيه حتى يسكت، و أتشاغل بشيء لكى أنساه .. و لكنه لا ينسانى ، بل يجلس بالقرب منى متربصاً بفرصته ، إذ أنتبه بعد حين على قط أصفر يزحف أمامى كالثعبان وقد التصق بطنه بالأرض ، متجهاً نحو مقعدى بخطوات متلصصة لكيلا أسمع وقع أقدامه ، متحاشياً أن تلتقى عيناه بعينى كى لا أراه ..

و إذا به يرفع يده اليمنى فى حذر ليضعها على الجزء البارز من المقعد بين ساقى ، ثم ينقل يده الثانية فيضعها بجانب الأولى بنفس الحذر ، توطئة أن يقفز برشاقة يحسد عليها إلى حجرى .. و عليه ـ حجرى ـ يسير ببطء شديد كأنه صورة سينمائية بالعرض البطيء ، ويستدير ويتكور ويلائم بين جسمه

وجسمى،متوهماً ـ ذلك الغبى ـ أننى لم أشعر بالثلاثة كيلوجرامات التى استقرت على حجرى لمجرد أنها استقرت ببطء ..

لذلك أتركه دائماً يتم هذه العملية السافلة حتى يهدأ ، ويظن أن الأمر قد انتهى ، ثم أفاجئه بضربة متوسطة القوة على ظهره ترسله إلى الأرض وهو يعوى عواء أفهم منه أنه يقول :

ـ دى عيشة إيه دى يا عالم ؟ دنا أشوف لى بيت أقعد فيه ، آه .. والله أنا أشوف لى بيت تانى ، دى حاجة تقرف ، آه ..

لذلك ابتدع ذلك اللعين طريقة أخرى لاحتلال حجرى ، وهى طريقة الانقضاض المفاجئ ، إذ يجلس أمامى وأنا منهمك فى الحديث ، فينتهز فرصة وصولى إلى لحظة الانهماك التام ، ويقفز فى سرعة البرق إلى حجرى ، ويستقر هناك ، بحيث يحدث لى كثيراً أن أفاجأ بأنه قد مرت علىَّ خمس دقائق كاملة وأنا أحسس عليه دون أن أدرى ..

وبانتهاء كلامى عن هذا القط أرجو أن تكون قد استنتجت أنه ليس مجرد كلام ، وأنها حكاية ذات مغزى لا يستهان به ، ذلك المغزى الذى عبر عنه العرب عندما أطلقوا المثل الشهير : (**زُرْ غِبّاً ، تَزْدَدْ حُباً**) ، أى أن ميلك لشخص ما يجب ألا يستبد بك حتى يجعلك ترمى جتتك عليه ؛ لأنه مهما كان يبادلك الحب فلابد أن يأتى عليه وقت يضيق بك فيه ، ويزهق من خِلْقَتك فيرفعك بين يديه ، ويلقى بك على الأرض إذا كنت جالساً على حجره ، حتى ـ صدقنى ـ لو تصادف أن كنت سيدة لا رجلاً ..

* * *

* السيدة الركيكة :

أتانى صوتها فى التليفون ـ إحدى المتكلمات ـ خالياً تماماً من حروف الصاد والضاد والطاء ، وكلها ذابت فى لعابها ، وتحولت إلى سين ودال وتاء .. ونظراً لنفورى الشديد من منظر الدماء ، فإننى أحمد الله على أن تلك الكائنة لاتعيش معى تحت سقف واحد ..

* * *

obeikandl.com

(كيف تشترى خروف العيد ؟ (*))

كانت فكرتى عن الطريقة التى أشترى بها خروف العيد هى أن أنتظر حتى أرى رجلاً سارحاً بعدد من الخرفان ،فأقول له : يا بتاع الخرفان ، أوزن لى الخروف اللى هناك ده لو سمحت ..

و لكنه لم يكن متاحاً لى أن ألجأ إلي هذه الطريقة ، من ناحية لأن الحى الذي أسكن فيه لا يسرح فيه الرجال بالخرفان ، ومن ناحية أخرى لما حدثنى به أهل العلم من أن الرجل العاقل لا يشترى خروفه بهذه الطريقة ؛ لأن الخرفان التي يسرح بها الرجال : خرفان رديئة فى أغلب الأحيان ، و إلا .. فلماذا سرحوا بها أصلاً ؟..

منطق غير معقول طبعاً ؛ و لذلك صدقته و قلت لهم :

ـ أُمَّالْ الراجل العاقل ، ياأهل العلم ، يشترى خروفه ازاى ؟

فقالوا لى : إنه يذهب إلى المذبح برفقة واحد منهم ، حيث ينتقي بمساعدته خروفاً مناسباً ، فيدفع ثمنه ، و يذبحه و يسلخه و يوضبه ويعود به إلى المنزل فرحاً مرحاً فخوراً ..

ـ على خيرة الله ، ياللا بينا ..

هكذا .. قلت لهم ، وسحبت ـ أقصد سحبنى ـ واحد منهم إلى المذبح حيث أجلسنى فى قهوة بلدى مع تاجر خرفان ملطخ الجلباب بدماء بضاعته ، وأحضروا لنا ثلاثة خرفان لنتخير منها ضحيتنا : أحدها بنى اللون كبير القرنين، والثانى رمادى اللون متوسط القرنين ، والثالث غير ذى قرنين أصلاً ، بل غير ذى

(*) ابتسم من فضلك ..

لون أيضاً ، إن شخصاً ما قد حلق له شعره بسبب أو آخر نمرة زيرو ..

قلت لهم :

ـ يظهر أن الخروف ده معجب ببول براينر [1] ، هاها ..

ولكن أحداً لم يضحك ، الأمر الذى فهمت منه أن سمعة المستر براينر لم تصل بعد إلى المذبح ، وهذا غير مهم ، المهم أننى كنت فى صف الخروف الرمادى ، لا بسبب لونه الشاذ فحسب ، وإنما بسبب ما ميزته أُذُنى فى مأمأته من نغمة «سيكا» خفيفة ..

ولكن زميلى ـ مندوب أهل العلم بشئون الخرفان ـ قال لى : إن هذا الخروف هو أسوأ الخرفان الثلاثة ، والرجل العاقل لا يجوز له أن يتخير خروفه على أساس من الاعتبارات الموسيقية ؛ إذ أن الصوت لا أهمية له فى الدلالة على جودة اللحم ، بدليل أنه اشترى مرة خروفاً يسجل بصوت تينور لطيف «اوكتافا» كاملاً ومع ذلك كان لحمه زى الزفت ..

ـ يظهر ـ قال تاجر الخرفان ـ إن البيه غاوى طرب ، هع هع ..

ومع همهمته :هعهع سائر الموجودين بالقهوة لسبب لا أدريه .. فانكمشت فى بذلتى ، وقررت ألا أكشف لهؤلاء القوم عما لا يبدو أنه فى إمكانهم أن يتذوقوه من خواطرى ..

وانتهى زميلى من فرز الخرفان الثلاثة حتى وقع اختياره ـ صدِّق أو لا تصدِّق ـ على الخروف الأقرع قائلاً :

ـ الفروة موش مهمة ؛ لأنك طبعاً ح تاكله من جوه ..

فهززت كتفى فى استخفاف قائلاً :

---

(١) بول براينر : (ممثل سينمائى أمريكى) أصلع الرأس ..

ـ أنت أدرى ، ولو أن صوته عادى خالص ..

وأخذوا الخروف ، فوزنوه ، وحاسبونى عليه ، ودفعت للتاجر مبلغاً من المال أوجعنى إلى درجة أننى قلت : يا رب إن حكمتك أَجَلُّ من أن أدركها .. ومع ذلك ألم يكن أرحم بنا لو أنك أنزلت على سيدنا «إبراهيم» بدلاً من الخروف زوجاً من الأرانب ؟

و مع ذلك فَرُبَّ قضاء أخف من قضاء ، والحمد لله على أنه لم ينزل بدل الخروف جاموسة أو جملاً ، وإلا كان في ذلك خراب بيتى..

و بانتهاء عملية الشراء أحضروا لنا جزاراً يتصبب بدل العرق دَماً .. وأوصوه بأن يأخذ باله من البيه ، ويذبح له الخروف كويس.. وكان من رأيى أن يذبحه حيث جلسنا ، ولكن الجزار لسبب لا أعرفه صمم على أن يذبحه في منزله ..

ـ هو البيت (سألته) بعيد ؟

ـ لا ، ده خطوتين ..

فنهضنا .. و بدأنا رحلتنا ، الجزار و مندوب أهل العلم وأنا ، والخروف بيننا يُقَدِّم رِجْلاً .. و يؤخر ، توطئة لأن يثبت في مكانه.. ويرفض السير رفضاً باتاً .. فلو كانت له قرون لجذبناه منها ، ولو كانت له فروة لجذبناه منها ، و لكن ماذا تصنع بخروف عديم الفروة و القرون ؛ لذلك أخذ الجزار يدفعه من مؤخرته قائلاً لى فى سآمة :

ـ قول له وِرّ يا بيه ..

ـ وِرّ ؟ ..

ـ أيوه وِرّ ..

ـ للخروف ؟ ..

ـ **أيوه .. عشان يمشى ...**

وكان فى لهجته من نفاد الصبر ما يدل على ضيقه الشديد بهذا البك الذى لم يسمع حتى هذه اللحظة أن الخرفان تسير عندما يقول لها الرجل (وِرّ) .. حقاً إنه كان يجب أن يدرك أنه غير لائق بذلك البك ـ حتي في حالة علمه بتلك الحقيقة ـ أن يسير فى الطريق العام قائلاً وِرّ ، خصوصاً إذا كان الخروف الذي يوجه إليه الكلمة خروفاً أقرع ، و لكنه ـ الجزار ـ كان يريد أن يوصل الخروف إلى المنزل بأية طريقة ..

فلما كنت أنا الآخر مشتركاً معه فى تلك الرغبة ، فقد بسطت ذراعى فى استسلام وقلت للخروف :

ـ **وِرّ يا سيدى .. وِرر ... وِررر ..**

ففهم اللعين الكلمة وسار ، نحواً من عشر خطوات قبل أن يتوقف من جديد ، كأنه يريد أن يفهمنى أن الحكاية موش فوضى ، وأنه ليس من الخرفان التافهة التى تسير أكثر من خمسة أمتار بـ «وِرّ» واحدة ..

فخضعت للأمر الواقع ، ورحت أقولها ، وأعيدها أنا ومندوب أهل العلم ، فى حين يتولى الجزار عملية الدفع من الخلف ، ذلك المنظر الذى أعجب نصف دستة من الصبية فانضموا إلينا ، وكلما توقف الخروف يقولون وِرّ ، وكلما سار يصفقون : هيه !! ..

واستمرت تلك المظاهرة إلى بيت الجراز الذى اتضح أنه على بعد نحو كيلومتر ، **الأمر الذى يدلك على النسبية التامة فى مسألة تحديد المسافات .. وكيف ما يبدو لك أنت الرجل العادى كيلومتراً ، لا يبدو خطوتين اثنتين بالنسبة للرجل الجزار ..**

obeikandl.com

و إلى هنا .. أرجو أن تأذن لى بالتوقف عن الكتابة ، إذ أن ثمة رائحة شواء ذكية تصل إلى أنفى من حجرة المائدة ، و أعتقد أنك توافقنى على أنه إذا كان الكلام عن الخرفان مُحبباً إلى النفس . فإن أكلها ـ بالنسبة للرجل العاقل على الأقل ـ أحب من ذلك بكثير..

* * *

obeikandl.com

(رسالة إلي ولدي (*))

*ولدى العزيز :

استهل كلامى بالترحيب بك على ظهر كوكبنا الجميل المسمى بالكُرَة الأرضية ، و بتهنئتك على ما أسبغته العناية الإلهية عليك من نعمة الوجود ، متمنياً لك حياة سعيدة مديدة ، ومنتهزاً هذه الفرصة لكى ألفت نظرك إلى بعض المتاعب التى ستعرض فى حياتك ، وتعكر صفوك بين الحين والحين ، و ذلك لكي تأخذ لها أهبتها ولا تفاجأ بها مثلما فوجئت أنا ، ولنبدأ بالمتاعب الجسمية :

بعد ستة أشهر لا غير ستفاجأ ـ يا ولدى ـ بأول أوجاعك الجسمية المحتومة و هو ما نسميه بالتسنين ، فلا تخف ولا تهتم بالمرة ، بل أبشر فهذا الوجع هو البشير بظهور أسنانك الصغيرة الجميلة التى تمضغ بها أطايب الشوكولاته و البونبون ـ إذا ترك لك أخوتك شيئاً منها .. حقاً إنك ستفاجأ بعد سنوات بأن تلك الأسنان الجميلة قد بدأت تتساقط مثل أوراق الخريف ، وستعجب من الحكمة في ظهورها ما دامت مخلوقة للسقوط ، و لكن برضه ماتتخضش ..

فسقوط هذه الأسنان بشير آخر بظهور طقم أسنانك الجديد الذى يعيش معك مدى الحياة (إن لم تفضل أن تستبدل به طقماً صناعياً ؛ لكى تشفى من الروماتيزم) ، والذى به تستمتع بمضغ مأكولات الكبار مثل اللحم الضانى ، أوالبتلو ، أو الكندوز ـ أو الجملى ـ وفقاً لحالاتنا الاقتصادية ..

(*) ابتسم من فضلك ..

حقاً ـ من جديد ـ إنك قد تفاجأ بتساقط هذا الطقم بعد سن الثمانين، ولكن موش تحمد ربنا على كونك عشت ثمانين عاماً ؟ ..

ثمة وجع آخر ينتظرك حتماً يا ولدى ، فى شكل سخونة تعتريك وتستدعى حبسك فى الفراش ، لا تأكل إلا الزبادى ، يومين أو ثلاثة قبل أن تنتشر على جسمك تلك النقط الحمراء الصغيرة التى نسميها بالحصبة .. وهى مرض خفيف لا عيب فيه إلا ما قد يؤدى إليه من الالتهاب الرئوى ، وهذا بدوره مرض أصبح لا يعتد به بعد ظهور ذلك الشراب الأحمر الجميل المسمى بالترامايسين ، فلا تحمل لأى من المرضين هماً ..

وفى ذات ليلة لا يمكن تحديدها ـ يا ولدى ـ ستصحو على وجع مفاجئ فى جنبك الأيمن فتفزع وتظنه أمراً خطيراً ، ولكن أبداً .. إنه ليس إلا « المصران الأعور » ، تلك الزائدة الصغيرة المتخلفة فى جوفك من أيام أجدادك الذين كانوا يأكلون الأعشاب ، وهى تستأصل بسهولة بعد إجراء بسيط لا يتعدى فتح بطنك، ولا يتكلف أكثر من الجنيهات الثلاثين التى تكون قد ادخرتها لتركيب طقم أسنانك ..

تلك هى الأوجاع التى أستطيع أن أضمنها لك ، وهذا لا ينفى وجود أوجاع أخرى ذات صفة احتمالية ، ولذلك نتركها لظروفها عندما تكبر ..

(الجانب التربوى)

دعك من أوجاع الجسم وتعال معى إلى بعض الكلمات التى ستسمعها من اليوم الذى تتعلم فيه الكلام ، والتى ربما ضايقتك نوعاً من أول الأمر ، وعلى رأسها كلمة صغيرة من اسمها « كُخْ» ..

إنها كلمة صغيرة ، ولكنها ربما سببت لك بعض الإزعاج بسبب أنها لاتقال لك إلا عندما تريد أن تقوم بعمل لذيذ كأكل البونبونة العاشرة ، أو شد ذنب القط ، أو كبش حفنة من تراب الحديقة ووضعها ـ بيدك ـ فى قفاك أو إدخال إصبعك في بريزة الكهرباء ، أومغادرة المنزل عن طريق نافذة الطابق الثانى ، أو رَىّ الزهور المرسومة علي كنبة الصالون بكوب ماء ، أو إمساك الكوب نفسه وإلقائه على الأرض للتلذذ من منظر تحوله إلى كومة من الزجاج.. و ما إلى ذلك من الأعمال الممتعة ..

و في مقابل هذه الكلمة المزعجة ، ستسمع كلمة أخرى لطيفة وهى كلمة «دَحْ» ..

تلك الكلمة التي ستقولها لك كلما أديت عملاً طيباً نافعاً ، مثل شربك لكوب اللبن عن آخره ـ بِالْوِشّ ، أو صعودك إلي سريرك الصغير الجميل بعد الغروب مباشرة ، أو جلوسك ست ساعات كاملة بدون أي حركة أو صوت أو كلام ..

(والجانب الثقافى)

و من الأشياء التى ستصادفك ، وتبدو لك فى شكل متاعب ـ لأنك مازلت صغيراً ـ حكاية أنك فى الوقت الذي تريد فيه أن تلعب ، سنريد نحن أن تتعلم و تتثقف ، و ذلك بأن تذهب إلي المدرسة ..

و فى المدرسة ستتعلم أشياء قد تبدو لك تافهة ، ولكنها في الحقيقة هامة وحيوية بالنسبة للرجل العصرى ، مثل اليوم الذى ولد فيه «بطليموس الثانى» ، والمكان الذى تستمر الأمطار فيه طوال العام ، وطريقة إشعال مصباح بنزين ،

والمبلغ الذى كسبه رجل من بيع فدانين بسعر الفدان ٥٩٤ جنيهاً ..

تلك المعلومات المفيدة التى لا تبرح تتطور معك كلما كبرت ، حتى يأتى عليك يوم تدخل فيه قسم الفلسفة بكلية الآداب ؛ لتعرف لماذا فشلت كافة محاولات الفلاسفة في تحقيق غاية الفلسفة ، أو تدخل كلية الطب ؛ لتعرف لماذا لا يزال الزكام مستعصياً على العلاج حتى الآن ..

(والجانب الأخلاقى)

وشىء آخر ـ يا ولدى ـ ربما عكر صفو حياتك السعيدة بعض الشىء، وهو ذلك الشعور الغريب الذى سيدهمك فى سن الخامسة عشرة بأن بنت الجيران حلوة قوى ، ويغريك بأن تترك دروسك وتقف فى الشباك لتعاكسها .. فاذا بصفعة تنزل على قفاك من يدى وأنا أقول لك :

ـ عيب يا ولد ..

فتختبئ فى حجرتك وتكتب لها رسالة غرامية مطولة ، تلك الرسالة التى تقع فى يدى فأمزقها وأقول لك بعد أن أصفعك على قفاك ثانياً :

ـ عيب يا ولد ..

فتقول لى وقد اغرورقت عيناك بالدموع :

ـ لكن يا بابا أنا باحبها .. أنت رجل مثقف ومنطقى ، تقدر تقول لى ليه ما أحبهاش ؟ ..

فأتفكر فى الأمر حيناً توطئة لأن أجيبك هذا الجواب البليغ :

ـ كده ..

ـ كده ليه ؟

ـ **كده يعنى كده ..**

ـ **لكن هى بتحبنى كمان ..**

(**يا بن الإيه**) (أقول لنفسى) أتاريها رقعت الشباك فى وشى من يومين وأنا باضحك لها ..

ثم أنثنى نحوك قائلاً وقد وضعت على كتفك يد الحكمة الأبوية :

ـ **شوف يا بنى .. الواحد لما يحب بنت لازم يتجوزها ..وأنت يابنى...**

ـ **ليه (تقاطعنى) يابا ؟**

ـ **إيه اللى ليه ؟**

ـ **ليه الواحد لما يحب بنت لازم يتجوزها ؟**

ـ **لأن أبويا قال لى كده .. وأبو أبويا قال لأبويا كده .. وأبو أبو أبو أبويا قال كده ..أنت عاوز تغير نظام الحياة البشرية ؟ ..**

ـ **لأ . بس عاوز أحبها .**

ـ إذا أحببتها من غير جواز أبوها ح يزعل .. وإذا زعل يضربك .. وإذا ضربك حتشتكى لى .. وإذا اشتكيت لى ح اتخانق معاه .. وإذا اتخانقت معاه إما أضربه وأروح القسم ، وإما أنه يضربنى ، وأروح المستشفى وأظن ده ما يخلصكش..

ـ **وكل هذا المنطق لا يقنعك إذ تقول لى :**

ـ **لكن يا بابا ...**

فأقاطعك بالكلمة التى تقنع كافة الأولاد فى كافة الأزمان ..

ـ **اخرس يا ولد ..**

فتخرس ..

(والبقاء لله)

ثم إنك يا ولدى ستأخذ الشهادة وتتوظف ، وبذلك ينتهى دورى فى تعكير صفو حياتك ، وينتقل هذا الدور إلى رئيسك فى العمل ، تقاسمه فيه زوجتك إذا تزوجت .. ولكنى أؤكد لك أنك مهما صادفت فى حياتك العملية والزوجية، فإن تلك المتاعب لن تصل أبداً ـ مع شاب تلقى مثلك هذه التربية العالية ـ إلى درجة خطيرة ، بدليل أننى أنا وقد صادفت من تلك المتاعب أكثر من كل ما سوف تصادف أنت ، ومازلت قادراً على أن أحمل القلم (٢٠ جراماً) وأكتب لك هذه السطور ..

شىء واحد ربما ذرفت له الدموع بنسبة أكبر من المعتاد فى الأيام العادية ، و هو ذلك التليفون الذي سيرن عندك حتماً فى ذات يوم حاملاً صوت أمك يقول لك أن أباك (**إن شالله العدو يا رب**) قد مات ..

و هذا بالطبع إذا كانت هي لم تَمُتْ بعد ، وإذا لم تكن الحرب الذرية قد نشبت و أفنت البشر جميعاً ، الأمر الذى يجعل هذه السطور غير ذات معنى ..

فإذا تلقيت تلك المكالمة التليفونية ، فلا مانع من أن تبكي عليَّ ، بشرط ألا تسرف فى الحزن و البكاء إلى الدرجة التى تتسبب فى إفساد الترتيبات المناسبة لوقار جنازتى ..

و إذا أحسست بعد عودتك من المدفن بشىءمن تأنيب الضمير ، فليس هذا غريباً بعد كل المتاعب التي سببتها لي في حياتك ، و لكن لا تدع تلك المشاعر تستبد بك هي الأخري إلي الدرجة التي تصيبك بالشلل في ذراعك أو ساقك كما سمعت أنه يحدث لبعض الأبناء عندما يموت آباؤهم ..

وكذلك لا تحقد عليَّ ؛ لأننى لم أترك لك شيئاً يذكر ، هو يعنى أبويا كان ساب لى حاجة ؟ ..

هذه يا ولدى عينة من المتاعب التى ستصادفك فى حياتك ، و هى كما ترى أهون بكثير من أن تستحق القلق أو التشاوم .. فسوف تنتصر عليها كما انتصرت أنا ، جانياً سعادتك من خلالها كما يجنى العسل من خلية النحل .. حتى يحين أجلك المحتوم ، و تلحق بى فى مدفننا بالبساتين ..

فإذا حان هذا اليوم ـ بعد عمر مديد إن شاء الله ـ ووجدت نفسك داخلاً علىَّ ، فحاول أن تتذكر كراهيتى الشديدة للتيارات الهوائية ، وما تنساش ـ ياولد ـ تقفل الباب كويس وراك ..

* * *

obeikandl.com